



يأكل الحسنات ويديم الحسرات

الحسد.. الكبيرة المهلكة

عدد الشيخ صلاح بن محمد البدير إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف مساوئ حاسد النعمة التي منحها الله لأخيه مشيراً إلى أن الحاسد لا يرتاح لما بزوال النعمة عن أخيه حتى لو لم تصل إليه.. المهم عنده هو زوالها في المقام الأول فضلاً عن أنه لا يرضى بقضاء ولا يقنع بعطاء إذا نظر إلى من فوقه في علم أو في خلق أو مال أو أي خصلة من خصال التفضيل اهترض على الله في مشيئته واغتاز من فضل الله وقسمته.

واستدل البدير خلال خطبة الجمعة من الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة بما قاله الأصمعي سمعت أعرابياً يقول ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد حزن لازم وتعس دائم وعقل هائم وحسرة لا تنقضي وقال أبو الليث السمرقندي يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه أولها غم لا ينقطع والثاني مصيبة لا يؤجر عليها والثالث مذمة لا يحمدها والرابع يسخط عليه الرب والخامس تغلق عليه أبواب التوفيق .

*لهذه الأسباب الحسد من الكبائر

وأشار إلى أن الحسد من الذنوب العظام والكبائر الجسام لأنه يأكل الحسنات ويديم الحسرات ويعدم الراحة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فلم يزل ذو الفضل محسوداً وبالذنى مقصوداً وكلما كثر الفضل كثر الحساد منه وأنه كلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم ففتجه إليه أنظار الحسدة وتنوشه عيون الصغار المفاليس وتصوب إليه سهام المتربصين.

ومضى للقول : ومن لمع نجمه وارتفع سهمه واشتهر اسمه تألب عليه الحسد وتواطأ عليه المشائون لأن المنزل الرفيعة وعلو الصيت تشير المضغائن وتبعث الأحقاد قال ابن القيم وقد شاهد الناس عياناً أن من عاش بالمكر مات بالفقر موصياً من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو غيره فليذكر الله وليبرك والتبريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة قال بركت تبريكاً أي قلت له بارك الله عليك وبارك لك وبارك فيك أي وضع فيك البركة وثبتها وأدامها وأفاضها وضاغها والبركة لكونها خالصة تتعدى باللام ولكونها نافذة تتعدى بالفاء ولكونها نازلة من السماء تتعدى بعلی تصويراً لصب البركات وإفاضتها من السماء.

ونبه خطيب المسجد النبوي إلى أن الحاسد لا يرى قضاء الله عدلاً ولا نعمة من الناس أهلاً يكره نعمته ويجهل حكمته ويسعى بالبغي على من أنعم الله عليه ويمضي في المكر بمن أحسن الله إليه منه بأن من غوائل الحسد تنقيص العمر وتشتيت الفكر قال ابن المعتز الحسد داء الجسد وقال الأصمعي رأيت شيخاً بالبادية قد سقط حاجباه على عينيه وله مائة وعشرون سنة وفيه بقية فسألته فقال: تركت الحسد فبقي الجسد ومن زكت نفسه وسمت لم يجد في نفسه حزازة وغيظاً وحسداً على ذي نعمة

ومضى إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف للقول إن علامة الشؤم واللؤم وحد الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه مشيراً إلى أن للحاسد ثلاث علامات.

وأوضح البدير خلال خطبته أنه يُعرف الحاسد بالملحظ والملفظ ورب لحظ أنم من لفظ وللحاسد ثلاث علامات أن يتملّق إذا شد

ويغتابُ إذا غابَ ويَسمُتُ بالمصيبة منوهُاً بأن حاسد النعمة لا يرضيه إلما زوالها ولما يسره إلما انتقالها لا يرضى بقضاء ولا يقنع بعطاء إذا نظر إلى من فوقه في علم أو في خُلُق أو خَلْق أو مال أو أي خصلة من خصال التفضيل اعترض على الله في مشيئته واغتاض من فضل الله وقسمته.

*الحسد والرذائل المهلكة

وأضاف: لا يرى قضاء الله عدلاً ولما لنعمه من الناس أهلاً يكره نعمته ويجهل حكمته ويسعى بالبغي على من أنعم الله عليه ويمضي في المكر بمن أحسن الله إليه منوهُاً بأن من غوائل الحسد تنقيص العمر وتشتيت الفكر قال ابن المعتز الحسد داء الجسد وقال الأصمعي رأيت شيخاً بالبادية قد سقط حاجباه على عينيه وله مائة وعشرون سنة وفيه بقية فسألته فقال: تركت الحسد فبقي الجسد ومن زكت نفسه وسمت لم يجد في نفسه حزاة وغيظاً وحسداً على ذي نعمة.

ولم يفت الشيخ البدير الإشارة إلى أن داء الحسد من الرذائل المهلكة لذا فإن التطهر من الرذائل والتلبس بالفضائل شأن الكمّال لافتم إلى أن الحسد داعية النكد ومطية الكمد وأضاف: وانظر إلى السادة الأنصار أهل المواساة والمبايثار أعز قبائل العرب جارا ومن اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام دارهم أمناً وقراراً رضي الله عنهم الذين أثنى الله عليهم بقوله ولما يحدون في صُدُورِهِم حاجة مِمّا أوتُوا.

وخلص في نهاية الخطبة للقول: أي ولما يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة منبهاً إلى أنه كلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم فتنجه إليه أنظار الحسدة وتذوشه عيون الصغار المفاليس وتصوب إليه سهام المتربصين ومن لمع نجمه وارتفع سهمه واشتهر اسمه تألب عليه الحسد وتواطأ عليه الشائنون لأن المنزلة الرفيعة وعلو المصيت تثير الضغائن وتبعث الأحقاد.